مذهب المغاربة الأندلسيين في النحو

د. الحسين مصطفى عبد الرحيم أبوعجيلة
كلية التربية – جامعة مصراتة
h.abujaila@edu.misuratau.edu.ly

تاريخ الاستلام 2020.05.13 تاريخ النشر 2020.08.16

الملخص:

كان للنحاة المغاربة الأندلسيين دور فعَّال ومساهمة بنَّاءة في اكتمال شخصية النحو العربي؛ عن طريق اختياراتهم الرشيدة، وآرائهم النحوية الجديدة. وكان من أهم أسباب نمو الدراسات النحوية في الأندلس تشجيع الأمراء بكل وسائل التشجيع، وحب الناس للعلم وإقبالهم عليه رغبة في العلم. وكان من أهم مظاهر ازدهار النحو الأندلسي: بروز أعلام للنحو، وهجرة العلماء من مختلف المدن والولايات إلى بلاد الأندلس، والنشاط في حركة التأليف، وتيسير النحو بطرق مختلفة كوضع المتون النحوية مثلاً.

الكلمات المفتاحية: المغاربة، الأندلسيين، النحو، الحركة اللُغوية.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.. وبعد.

فمَن يرجع إلى تراث النحو العربي يلحظ أنَّ المسائل التي اختلف فيها النحاة، كانت في أغلبها مسائل فرعية، وسبب ذلك الاختلاف في كثير من الأحيان يرجع إلى التعليل والتأويل؛ بحيث يكون لبعضهم مذهب، ولآخرين مذهب آخر، وهكذا..

والاختلاف قد يقع بين نحاة ينتسبون إلى المدرسة الواحدة، وكتب النحو مليئة باختلافات البصريين فيما بينهم، والكوفيين فيما بينهم، والأندلسيين فيما بينهم، إلخ...

وهنا يحسن بنا أن نشير إلى أنَّ الأوائل استخدموا كلمة (مذهب) لعدة معانٍ، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

1- الخلاف النحوي، كانوا يقولون: مذهب البصريين كما يقولون أيضاً: مذهب الكوفيين ومذهب البغداديين.. إلخ.

2- الطريقة التي سار عليها أحد النحاة، كانوا يقولون مثلًا: مذهب سيبويه، أو مذهب الأخفش والفراء[1].. إلخ.

ثمَّ تطوَّرت دلالة الكلمة فأصبحت بعد ذلك تعني: المدرسة وطلابها المنتسبين إليها، و"من المتعارف عليه عند كثير من الباحثين أنه ليس هناك تعريف علمي محدد للمذهب أو المدرسة النحوية، وإنما تنشأ نشأة عفوية بأن يأخذ تلميذ عن شيخه.. وهكذا إلى أن تنشأ مدرسة كما حدث ذلك في مدرسة البصرة والكوفة وغيرهما.."[2].

وقد تناولت في هذا البحث: مذهب المغاربة الأندلسيين في النحو، فبحثت في كيفية نشأته، وفتَّشتُ عن أهم الأسباب التي أدَّت إليها، والأسباب التي ساعدت على ازدهار الدرس النحوي في الأندلس، وذكرت بعض مظاهر ذلك الازدهار، وبعض آرائهم النحوية التي ابتكروها من غير سبق.

الهدف من البحث:

لهذا البحث هدفان:

1- إلقاء الضوء على مجد من أمجاد أمتنا يتعلق بدور العلماء المغاربة الأندلسيين في إثراء علم العربية: بكثرة نقاشاتهم وترجيحاتهم وابتكاراتهم.

2- لمَّا كانت مسألة وجود مذهب نحوي مغاربي أندلسي مسألة خلافية بين العلماء؛ لذا عملت على ترجيح وجود هذا المذهب النحوي بالدليل.

تمهيد:

أهناك مدرسة أندلسية مغاربية في النحو أم لا؟

1- إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية أسطورة وواقع، ط 1، دار الفكر للنشر والتوزيع، 1987م، ص13.

2- يوسف حسين بادي، محاضرات أصول النحو والمدارس النحوية، برنامج الماجستير، كلية الآداب – جامعة مصراتة، العام الجامعي 2000م.

انقسمت آراء الباحثين المحدثين حول هذه المسألة إلى قسمين:

القسم الأول: لا يعترف إلا بمدرستي البصرة والكوفة فقط، وقد وضع أصحاب هذا الرأي حدًّا جعلوه مقياسا وأساسا يحكمون من خلاله على إثبات صفة المدرسة أو نفيها، وهذا الحد يوضحه أحد هؤلاء الباحثين بقوله: "المدرسة في المصطلح العلمي لفظ يطلق على جماعة من الدارسين تشترك في وجهة النظر، ويكون لها منهج خاص يؤلف منها جبهة علمية، ويرتبط أفرادها برباط الرأي الموحد"[3]، وبناءً على ذلك يقرِّر هذا الباحث ومَن معه أنَّ "هناك مدرستين في الدراسة اللغوية قديما، هما مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة؛ لصحة انطباق الحد المذكور على كلتا المدرستين"[4]، كما يرى أنَّ ذلك الحدَّ يثبت صفة المدرسة الكوفية –ومن باب أولى المدرسة البصرية فهي الأساس والقاعدة الأولى– لكنه ينفي صحة إثبات صفة المدرسة على غير هاتين المدرستين، يقول الباحث: "ونحن نختلف مع من نفى صفة المدرسة على الكوفيين على هذا الأساس ونختلف أيضا على الأساس نفسه مع من أطلق على جماعة من الدارسين في بغداد اسم المدرسة البغدادية وأخرى في مصر اسم المدرسة المصرية وثالثة في الأندلس اسم المدرسة الأندلسية"[5].

وممن يرون هذا الرأي أيضا: سعيد الأفغاني، القائل: "ليس لآراء الأندلسيين هؤلاء سمات مدرسة خاصة"[6].

القسم الثاني: يرى وجود مذهب أو مدرسة أندلسية في النحو؛ لأنهم –كما يرون– ابتكروا آراء نحوية جديدة، واهتموا بالعلل وزادوا إليها، وهذا ممَّا يثبت لهم صفة المدرسة أو المذهب، ومن هؤلاء الباحثين: الهيتي فقد ردَّ على قول سعيد الأفغاني السابق بقوله: "فهو بذلك يقرر أن ما جاء به الأندلسيون من آراء نحوية وما جددوا فيه من كثرة الاستشهاد

3– محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ط 1، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، 1980م. ص392.

4– المصدر السابق، الصفحة ذاتها.

5– المصدر السابق.

6– سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، دار مكتبة الفكر، طرابلس – ليبيا، [د. ت]، ص100.

بالحديث وموقفهم من العلل، كل ذلك لا يؤهلهم لتكوين مدرسة نحوية خاصة بهم"[7]، وقال أيضاً: "إن القول بأن ما جاء به الأندلسيون ليس كافيا لإطلاق اسم المدرسة الأندلسية على نحوهم، فيه كثير من البعد عن الحقيقة خاصة أن المنكرين أنفسهم قد أطلقوا على دراسات نحوية أخرى أسماء مدراس، وهي لم تأت بأكثر مما جاء به الأندلسيون"[8] يقصد المدرسة الكوفية، وقد أفصح عن هذا بعد حديثه السابق فقال: "فنراهم يطلقون اسم المدرسة على نحو الكوفة، ويقولون: إن ما جاءوا به هو التوسع في الرواية"[9]، ثم ختم كلامه بقوله: "والرأي عندي بعد ذلك كله أننا إذا سرنا كما سار من سبقنا –في تقسيم المدارس النحوية تقسيما جغرافيا– نستطيع أن نؤكد أن هناك مدرسة نحوية للأندلس لها آراؤها الخاصة بها وسماتها المميزة لها عن غيرها من مدارس النحو في المشرق"[10].

ومن أصحاب الفريق الثاني أيضاً: السّعران الذي يميل إلى تعدد مدارس النحو العربي، ويرى أنَّ في كل إقليم مدرسة، يقول: "تعددت مدارس النحو ومذاهبه في البلاد العربية والإسلامية المختلفة وفي العصور المختلفة في العراق ومصر، والشام، وشمال أفريقيا، والأندلس"[11].

والرأي عندي أن ما ذهب إليه أصحاب الفريق الثاني هو الأقرب إلى الصواب؛ وذلك لما يلي:

1- استقلال الأندلسيين بآراء وعلل نحوية وأصولية جديدة، كما سبقت الإشارة وسيأتي بيانه في موضع لاحق.

7- عبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، ط 2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، [د. ت]، ص54.

8- المصدر السابق.

9- المصدر السابق.

10- المصدر السابق، ص55.

11- محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، [د. ت]، ص225-226.

2- كذلك فإني أرى ما يرونه في أنَّ الضابط أو الحد الذي وضعه أصحاب الفريق الأول للحكم من خلاله على إثبات صفة المدرسة ينطبق على الأندلسيين أيضاً.

3- شهادة التاريخ لصالح المغاربة الأندلسيين، فقد تحدث عدد من المؤرخين على تلك المعاهد العلمية المغاربية الموجودة آنذاك، ووصفوها بأنها كبيرة، وأنها مجمع العلوم والمعارف؛ مما يثبت على الأرجح وجود مدرسة المغاربة الأندلسيين، ومن هؤلاء المؤرخين: يوسف أشباخ الذي يقول: "أما فيما يتعلق بالعلوم وهي التي استؤنفت في عهد الموحدين فقد كانت المعاهد المغربية في مراكش وفاس وتونس، والمعاهد الأندلسية في اشبيلية وقرطبة وغرناطة وبلنسية ومرسيه يومئذ مجمع العلوم والمعارف"[12].

نشأة المذهب المغاربي الأندلسي:

متى بدأت الدراسات النحوية في هذا الإقليم؟

بعد الاطلاع على آراء بعض الباحثين في هذا الموضوع، بدا لي أنَّ ثمَّت إجماع أو يكاد بين الباحثين المحدثين على أنه لم تكن هناك دراسات نحوية في الأندلس إلا بعد أن استقلت دولة أموية فيها على يد عبد الرحمن الداخل سنة 138هـ، ف"بعد أن بلغ النحو طور النضج والكمال -في المشرق العربي-[13] انتشر تعلمه في الأندلس"[14]، يقول الرافعي: "أما أولوية العلوم فإن أقدم ما اشتغلوا بمدارسته من العلوم إنما هو الفقه حتى كان الأمراء الذين ولوا الحكم في القرن الثاني الهجري، وهم الداخل وهشام ابنه، والحكم بن هشام لا يعنون إلا بالقضاة"[15]، وقال أيضاً: "وليس اشتغال الأندلسيين بالفقه ورسائله بمانعهم أن يتدارسوا علوم

12- يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس، القاهرة، 1926م، ص498، نقلاً عن: عبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص20.

13- زيادة للتوضيح.

14- محمد محمود هلال، الكامل في الدراسات النحوية ونشأتها، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي- ليبيا، [د. ت]، 1 / 20.

15- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ط 2، بيروت - لبنان، 1974، 3 / 260-261.

اللغة والإعراب"[16]، ويقول أحمد أمين: "ولابد أن العرب الفاتحين من عهد موسى بن نصير إلى عهد الخليفة الناصر، كانوا ينقلون في البلاد ما عرفوه في الشام من لغة وأشعار ونحوها،... إنما لم يكن علما منظما حتى جاء عبد الرحمن الناصر"[17]، ويقول شوقي ضيف: "لا نكاد نمضي في عصر بني أمية بالأندلس(138-422هـ) حتى نشأت طبقة كبيرة من المؤدبين الذين كانوا يعلمون الشباب في قرطبة وغيرها من الحواضر الأندلسية مبادئ العربية عن طريق مدارسة النصوص والأشعار"[18]، ويقول الراجحي: "وحين دخل الإسلام الأندلس أقبل أهلها على تعلم العربية وتعليمها... غير أن النحو لم يأخذ طريقة نحو الشكل العلمي هناك إلا حين استقلت دولة أموية في الأندلس على يد عبد الرحمن الداخل سنة 138هـ"[19].

لكن، لماذا تأخر ظهور الدراسات النحوية في الأندلس؟

يرى بعض الباحثين ومنهم الطنطاوي: أن السبب في تأخر الدراسات النحوية في الأندلس يرجع إلى أمور أهمها ما يلي:

1- بُعد المسافة بين العراق مهد الدراسات النحوية وبلاد الأندلس، يقول الطنطاوي: "تباعد الشقة بين هذه البلاد وبين العراق، مهد النحو، قضى عليها أن تتأخر ردحا من الزمن عن اقتفائها العراق في مزاولته إلى أن نضج وكمل"[20].

2- انشغال أمراء بني أمية بتوطيد حكمهم، وانصرافهم في بداية الأمر إلى إخضاع الولاة الآخرين لمملكتهم، يقول الطنطاوي: "وعناية الولاة على الأندلس من قبل بني أمية منذ فتحه سنة 93هـ منصرفة إلى إخضاع البلاد للخلافة فحسب نعم لما استقلت بنو أمية

16- المصدر السابق.

17- أحمد أمين، ظهر الإسلام، ط 5، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1969، 3 / 82.

18- شوقي ضيف، المدارس النحوية، ط 7، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص288.

19- عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، ط 2، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، ص215.

20- محمد الطنطاوي، نشأة النحو، ط 2، 1969م، ص187. وينظر: محمد محمود هلال، الكامل في الدراسات النحوية ونشأتها، 1 / 20. والبير حبيب مُطْلَق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 1967، ص10.

بالأندلس على يد عبد الرحمن الداخل صقر قريش سنة 138هـ، وتوطد فيها الملك له ولعقبه من بعده استقبلت الأندلس عهدا جديدا وبدأت الحركة العلمية فيه"[21].

3- كذلك انشغال الأندلسيين في بداية الأمر بالفقه والقضاء فقط.

كيف بدأت الدراسات النحوية في الأندلس؟

يبدو أنَّ هذه الكيفية كانت شبيهة بكيفية بداية الدراسات النحوية في المشرق العربي، ويمكن إيجاز أهم ذلك في النقاط التالية:

1- مثلما كان أهم الدوافع التي أدَّت إلى نشأة الدراسات اللغوية في المشرق العربي هو الدافع الديني والقومي والثقافي، كذلك كان في الأندلس، يقول أحد الباحثين: "ولو قد اقتصر الأمر على هذه الروح في الحفاظ على لغة الدين من باب القيام بما تتطلبه العبادات، والحفاظ على لغة رسمية للدولة تبلغ في التعبير عن سياستها أسمى الأساليب المقبولة في كل عصر، لكان هذا النشاط التعليمي وحده عاملا قويا في ترسيخ هذه الملكة اللغوية في الأندلس"[22].

2- مثلما أن بداية الدراسات النحوية في المشرق العربي كانت على يد القرّاء، كذلك كانت بدايتها في الأندلس، يقول شوقي ضيف حول هذا المعنى في معرض حديثه عن المؤدبين الأوائل في الأندلس، الذين كانوا يعلمون العربية عن طريق مدارسة النصوص والأشعار: "وبذلك كان أكثرهم من قراء الذكر الحكيم، وكان كثير منهم يرحلون إلى المشرق فيتلقون هذه القراءات، ويعودون إلى موطنهم فيرسمونها للناس بجميع شاراتها كما يرسمون لهم العربية بمقوماتها اللغوية.

21- محمد الطنطاوي، نشأة النحو، ص187. وينظر: محمد محمود هلال، الكامل في الدراسات النحوية ونشأتها، 1 / 20. والبير حبيب مُطْلَق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، ص10.

22- البير حبيب مُطْلَق، الحركة اللغوية في الأندلس، ص45.

ومن أجل ذلك لا نعجب إذا وجدنا مشهوري هؤلاء المؤدبين يعنون بالتأليف في القراءات"[23].

3- وكما كانت بداية الدراسات النحوية في المشرق العربي بداية أولية حول مسائل جزئية متفرقة، كذلك كانت بدايتها في الأندلس.. قال الزبيدي: "ولم يكن عند مؤدبي العربية ولا عند غيرهم ممن عني بالنحو كبير علم... وذلك أن المؤدبين إنما كانوا يعانون إقامة الصناعة في تلقين تلاميذهم العوامل وما شاكلها وتقريب المعاني لهم في ذلك، ولم يأخذوا أنفسهم بعلم دقائق العربية وغوامضها والاعتلال لمسائلها، ثم كانوا لا ينظرون في إمالة ولا إدغام ولا تصريف ولا أبنية، ولا يجيبون في شيء منها"[24].

كذلك يقول أحمد أمين عن بداية الدراسة النحوية في الأندلس: "أما النحو فقد بدأ في الأندلس، كما بدأ في المشرق عبارة عن قطعة مختارة فيها لفظ غريب يشرح، ومشكلة نحوية توضح على النحو الذي نراه في أمالي القالي[25]، والكامل للمبرد[26]، ثم ألقوا نحوا في مسائل

23- شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص288.

24- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبوالفضل إبراهيم، ط 1، القاهرة سنة 1954م، ص336-337. نقلاً عن: البير حبيب مُطْلَق، الحركة اللغوية في الأندلس، ص51-52.

25- هو إسماعيل بن القاسم بن عيدون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان أبوعلي البغدادي المعروف بالقالي نسبة إلى قالي قلا بلد من أعمال أرمينية. مولى عبد الملك بن مروان. ولد بمناز جرد من ديار بكر سنة 280هـ قرأ كتاب سيبويه على ابن دستورية، وفد إلى الأندلس سنة 330هـ. وصنف كتباً كثيرة منها: كتاب الأمالي، والممدود والمقصور، وفعلت وأفعلت، وغير ذلك، ت356هـ ينظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم الأدباء، ط 2، دار المستشرق، بيروت - لبنان، 1922م، 7 / 25 وما بعدها.

26- هو أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد، إمام العربية ببغداد في زمانه، أخذ عن المازني وأبي حاتم السجستاني، وروى عنه: إسماعيل الصفار ونفطويه والصولي، كان فصيحا بليغا، سأله المازني عن دقيق كتابه الألف واللام فأجابه بأحسن جواب، فقال له: قم فأنت المبرِّد أي: المثبت للحق. من تصانيفه: معاني القرآن، الكامل، المقتضب، وغير ذلك. ولد سنة 210ه، ومات 285هـ. ينظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، ط 1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1964م، ص269 وما بعدها.

جزئية، كما فعل أبو علي القالي نفسه في فعلت وأفعلت والمقصور والممدود"[27]. وقد عقب الهيتي على كلام أحمد أمين السابق بقوله: "من هنا يتضح لنا أن النحو الأندلسي قد مر بالخطوات التي مر بها النحو في المشرق نفسها"[28].

4- كذلك فقد قلدوهم حتى في الرحلة إلى البوادي، والأخذ عن الأعراب، وفي هذا يقول الزبيدي -أثناء تعريفه بأبي موسى الهواري-: "أول من جمع الفقه في الدين وعلم العرب بالأندلس، رحل في أول إمارة عبد الرحمن الداخل (138-172هـ)... ودخل الأعراب في محالها، وله كتاب في القراءات"[29].

فنلاحظ أنَّ الصفة الغالبة على النحو الأندلسي في مسيرته أنه سار على نفس مسار النحو المشرقي، وقد اتفق كثير[30] من الباحثين على أن المشرق العربي كان هو المتجه والنموذج العلمي الذي قلده الأندلسيون، واستعانوا به، واعتمدوا عليه في بداية دراساتهم اللغوية، وكان من تقليد الغرب للشرق كما يقول الرافعي: "حتى إن الأندلسيين أنفسهم كانوا يلقبون نابغيهم بأسماء المشارقة"[31]، وقال أيضا: "فكأن عربية الأندلسيين كانت صغيرة في أنفسهم لنزولها عن العربية العراقية بالمنشأ فهم يحققونها دائما بالتقليد؛ ويتثبتون من بقاء قدمها بهذا التجديد"[32]. ويقول البير حبيب مطلق: "كانت بواكيرها تعتمد على المشرق اعتمادا كليا"[33]، وكذلك يقول الهيتي: "كانت الأندلس على صلة وثيقة بالمشرق العربي فانتقلت إليها علوم

27- أحمد أمين، ظهر الإسلام، 3 / 91.

28- عبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلسي النحوي، ص36.

29- أبوبكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص275، نقلاً عن: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص288.

30- ينظر: مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، 3 / 254 وما بعدها، وعبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، ص215. وعبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص35. والبير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس، ص10.

31- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، 3 / 254.

32- المصدر السابق، ص 258.

33- البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس، ص10.

المشرق من شريعة ورياضيات وفلسفة وآداب وكان النحو من بين تلك العلوم التي انتقلت إليها منه"[34].

ظهور المذهب الأندلسي:

قرر جَمْعٌ من الباحثين وجود أو ظهور مذهب أندلسي في النحو –كما سبقت الإشارة– واتفقوا على أن النحو الأندلسي قد بلغ الغاية، ووصل إلى أعلى المستويات، وأن نحاته أصبحوا فيما بعد يضاهون أئمة النحو في المشرق العربي.. لكنهم –فيما يبدو– اختلفوا في تحديد زمن ظهور مذهب المغاربة الأندلسيين:

ذهب بعضهم إلى أنه ظهر في القرن السابع الهجري أو قبله بقليل، يقول المقري[35]: "والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة، حتى إنهم في هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه، لا يزداد مع هرم الزمان إلا جدة، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه"[36]، كذلك قال العيادي بعد أن تحدث عن الحياة العلمية والفكرية والأدبية في الأندلس: "أما العلوم اللغوية: فقد ازدهرت في هذا العصر أيضا وبرز منهم في النحو واللغة أبوموسى الجزولي[37](ت607هـ)، صاحب الكراسة المعروفة، وأبوعلي

34– عبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص35، وينظر: عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، ص215.

35– هو أبوالعباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني، لقب بجاحظ المغرب، وله مصنفات كثيرة في الأدب، منها: أزهار الرياض، نفح الطيب وغير ذلك. مات سنة 1041م. ينظر: أحمد بن محمد المَقَّرِيّ التِّلِمْسَانيّ، نفح الطيب، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، [د. ت]، مقدمة المحقق 1 / 17.

36– المقري، نفح الطيب، 1 / 206. وينظر: لطفي عبد البديع، الإسلام في إسبانيا، ص74. نقلاً عن: عبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص56. ومحمد محمود هلال، الكامل في الدراسات النحوية ونشأتها، 1 / 12 و21. وعبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص56. ومحسن حامد العيادي، ابن سعيد الأندلسي حياته وتراثه الفكري والأدبي، مكتبة النهضة المصرية، [د. ت]، ص24–25.

37– هو أبوموسى الجزولي عيسى بن عبد العزيز يلبخت، نسبة إلى جزولة وهي بطن من البربر، واسم (يلبخت) بربري معناه: ذو الحظ، تصدّر للإقراء وأخذ عنه العربية جماعة منهم الشلوبين وابن معط،

الشلوبين[38](ت645)... وتخرّج على يديه عدد كبير من النحاة، نشروا النحو في المغرب والمشرق"[39].

ويرى آخرون أنَّ ظهوره كان في القرن السادس الهجري، يقول أمين السيد: "والرأي عندي أن نقسم (الأطوار) إلى عصور ثلاثة:

1- عصر الجمع والتكوين: ويبدأ من فجر[40] تاريخ هذا العلم إلى نهاية القرن الخامس الهجري.

2- العصر الذهبي للإنتاج النحوي في القرنين السادس والسابع.

3- عصر التشتت والتفرق... وذلك في القرنيين الثامن والتاسع الهجريين"[41].

وذهب آخرون إلى أنَّه ظهر في القرن الخامس الهجري، يقول شوقي ضيف: "لعنا لا نبعد إذا قلنا إن الأعلم الشنتمري[42] المتوفي سنة 476 للهجرة هو أول من نهج لنحاة الأندلس في

وكان أماما فيها لا يشق غباره. شرح أصول بن السراج، وله المقدمة المشهورة وهي: حواش على الجمل للزجاجي. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 2 / 236-237.

38- هو أبوعلي الاشبيلي المعروف بالشلوبين عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله، أستاذ أبوعلي الاشبيلي، وربما زيد ياء النسب على الشلوبين، ومعنى الشلوبين بلغة الأندلس: الأبيض الأشقر، قال بن الزبير: كان إمام عصره في العربية، آخر أئمة هذا الشأن في المشرق والمغرب، صنف تعليقاً على كتاب سبويه، وشرحين على الجزوليه، وله كتاب في النحو سماه (التوطئة)، ت 645هـ. ينظر: السويطي، بغية الوعاة، 2 / 224-225.

39- محسن حامد العيادي، ابن سعيد الأندلسي، مكتبة النهضة المصرية، [د.ت]، ص24-25.

40- لا أدري ماذا يقصد الدكتور بقوله: (من فجر تاريخ هذا العلم)؟! تاريخه بشكل عام، أو تاريخه بالنسبة إلى المغاربة الأندلسيين؟

41- أمين السيد، الاتجاهات النحوية في الأندلس، دار العلوم، ص143. نقلاً عن: خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص37.

42- هو يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي الشنتمري المعروف بالأعلم، كان عالما بالعربية واللغة، رحل إلى قرطبة وأخذ عن إبراهيم الافليلي، وصارت إليه الرحلة في زمانه، ولد سنة 410هـ، ومات 476هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 2 / 356.

قوة هذا الاتجاه، فقد كان لا يكتفي في الأحكام النحوية بالعلل الأولى التي يدور عليها الحكم مثل أن كل مبتدأ مرفوع، بل كان يطلب علة ثانية لمثل هذا الحكم يوضح بها لماذا رفع المبتدأ ولم ينصب"[43]، ويقول محمد البنا: "إذا كان أهم ما ينبغي أن نعرف به هو النشاط اللغوي فإننا نقول: إنه في هذا العصر عصر الطوائف422-493هـ بدأت تتضح معالم الدراسة اللغوية وتكتمل، وأصبح الأندلسيون مقصد الطلاب وغدا من النادر أن نجد أندلسيا يطلب العلم في المشرق... ومن معالم هذه الدراسة اللغوية نشاط حركة التأليف في النحو واللغة والقراءات، وإقبال الطلبة على تعلم العربية على نحو يلفت النظر"[44]. وقال الطنطاوي: "وبذلك استحدثوا مذهبا رابعا عرف بمذهب المغاربة أو الأندلسيين، ظهرت مبادئه من أوائل القرن الخامس الهجري، الذي يعد بحق فجر النهضة النحوية في هذه البلاد"[45].

ويقرر غيرهم أنّ ظهور المذهب الأندلسي كان في القرن الرابع الهجري، يقول البير حبيب مطلق في خاتمة كتابه الذي خصصه للبحث عن الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف: "لقد درست الحياة اللغوية الأندلسية، في حقبة تزيد على أربعمائة عام، وكذلك تلك الفترة ناشطة منذ بدايتها، وإن كان القرن منذ بدايتها، وإن كان القرن الرابع للهجرة هو ما يمكن أن نسميه بالعصر الذهبي لها، فإن هذا العصر نتيجة لما تقدمه من نشاط، وقمة للتطور الطبيعي في حياة اللغة"[46]، كذلك يقول الهيتي: "والرأي عندي أن المذهب الأندلسي في النحو قد ظهرت معالمه في أقدم مؤلف نحوي وصل إلينا عبر أكثر من ألف سنة، وهو كتاب(الواضح في علم العربية)[47] لأبي بكر الزبيدي[48] المتوفي سنة

43- شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص293.

44- أبوالقاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، منشورات جامعة قاريونس، 1978م، مقدمة المحقق أثناء التعريف بالسهيلي، ص8.

45- الطنطاوي، نشأة النحو، ص189.

46- البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس، ص383.

47- لم أقف على هذا الكتاب، والثقة في الدكتور الذي اطلع على ما في هذا الكتاب، ولمس ما فيه من مميزات نحوية، يتميز بها المذهب الأندلسي المغاربي في النحو على النحو المشرقي.

379هـ، الذي حققه الدكتور أمين علي السيد، ولكنه نما وازدهر في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، واكتملت شخصيته وظهرت سماته في القرن السابع الهجري"[49].

ويبدو لي أنَّ أرجح هذه الآراء وأقربها إلى الصواب الرأي القائل: بظهور النحو الأندلسي للوجود منذ القرن الرابع الهجري؛ وذلك لما يلي:

1- مَنْ يتتبع النهضة العلمية في الأندلس يجد أنها كانت موجودة قبل تلك القرون التي حددها أصحاب الرأي الأول والثاني والثالث لظهور المذهب الأندلسي.

2- طبيعة تسلسل الأحداث، فالمذهب الأندلسي لا يمكن له أن ينشأ نشأة قوية متكاملة في يوم وليلة، فهو -لا شك- نشَأَ كنشأة غيره من المذاهب الأخرى، ثم أخذ ينمو شيئا فشيئا حتى ازدهر ذلك الازدهار وأصبح كعبة هذا العلم وعاصمته، وأعاد عصر الخليل وسيبويه، وهذا لا شك يحتاج إلى وقت طويل، ولا بد له من أطوار ومراحل يمر بها، يقول أحد الباحثين: "طبيعي أن هذه القمم قد سبقتها محاولات كثيرة درجت بها الأندلس من طور التكوين والبناء الذي استمر حتى نهاية القرن الثالث الهجري إلى طور الشباب والنضج في القرن الرابع ثم أخيرا طور الكهولة في القرن الخامس"[50].

أثر المدارس النحوية الشرقية في الأندلس:

1- النحو الكوفي في الأندلس:

يرى بعض الباحثين أن الدراسات النحوية في الأندلس قد بدأت كوفية النزعة واستمرت كذلك حتى أواخر القرن الثالث الهجري أو ما يقارب هذه الفترة، يقول شوقي ضيف: "ويبدو أن الأندلس تأخرت في عنايتها بالنحو البصري، وأنها صبت عنايتها أولا على النحو

48- هو: محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي الاشبيلي، كان واحد عصره في علم النحو، وحفظ اللغة. له مصنفات كثيرة منها: الموضح، وطبقات النحويين، ومختصر العين، وغير ذلك. مات سنة 379هـ وقيل 399هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 1 / 84-85.

49- عبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص56-57.

50- البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس، ص9.

الكوفي"[51]، ويقول أمين السيد: "سجلت كتب التراجم والطبقات وكتب التاريخ والأدب أن كتاب الكسائي[52] قد كان أسبق كتب النحو التي نقلت إلى الأندلس"[53]، ويقول الهيتي: "بدأ النحو الكوفي في الأندلس عندما وصل إليها كتاب الكسائي على يد جودي[54] بن عثمان"[55]، وجودي بن عثمان هذا يعتبر أول نحاة الأندلس بالمعنى الدقيق لكلمة نحوي[56].

ولعلنا نتساءل هنا:

من المعلوم أن المذهب البصري هو أقدم وأول مذهب في النحو العربي، ويعدّ الأصل لكل المذاهب النحوية التي نشأت بعده بما فيها المذهب الكوفي.. إذا فما السبب في انتشار النحو الكوفي في الأندلس قبل انتشار النحو البصري؟ وما السبب الذي جعل نحوي الأندلس الأول: جودي بن عثمان –بعد أن كلف نفسه مشقة وعناء السفر والرحيل إلى المشرق– يأخذ النحو عن الكوفيين، ولا يأخذه عن البصريين؟ أم أن كل ذلك كان صدفة لا غير؟

الواضح أن ذلك لم يكن مجرد صدفة، وإنما كان لعلة ستتضح لنا خلال الإجابة عن الفقرتين: الأولى والثانية من هذا السؤال.

51- شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص289.

52- هو: علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان من ولد بهمن بن فيروز مولى بني أسد، من أهل الكوفة، كان إماما في القراءة والنحو واللغة، وهو أحد القراء السبعة المشهورين، استوطن بغداد، وروى الحديث وصنف الكتب، ومات بالري سنة 182 أو 183، أو 189 أو 192هـ. ينظر: الحموي، معجم الأدباء، 13 / 167-168.

53- أمين السيد، الاتجاهات النحوية في الأندلس، دار العلوم، ص112. نقلاً عن: عبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص37.

54- ذكر السيوطي أن الزبيدي قال عنه: رحل إلى المشرق وأخذ عن الرياشي والفراء والكسائي؛ وهو أول من أدخل كتاب الكسائي إلى الأندلس، وصنف كتابًا في النحو سنة 198هـ. ينظر: بغية الوعاة، 1 / 490.

55- عبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص37.

56- ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص288.

وللإجابة عن الفقرة الأولى: يقول شوقي ضيف: "يبدو أن الأندلس تأخرت في عنايتها بالنحو البصري، وأنها صبت عنايتها أولا على النحو الكوفي مقتدية بنحويها الأول جودي بن عثمان"[57]. وأما إجابة الفقرة الثانية: فيقول شوقي ضيف أيضًا –أثناء حديثه عن نشأة المؤدبين الأندلسيين الأوائل، وتعليله لإقبالهم على القراءات–: "يدفعهم إلى ذلك حفاظهم على القرآن الكريم وسلامة لغته وتلاوته، وبذلك كان أكثرهم من قراء الذكر الحكيم، وكان كثير منهم يرحلون إلى المشرق فيتلقون هذه القراءات ويعودون إلى موطنهم فيرسمونها للناس بجميع شاراتها كما يرسمون لهم العربية بمقوماتها اللغوية"[58]، ومعلوم أنَّ الكوفة كانت مشهورة بكثرة القراء فيها، وعليه فيبدو لي أنَّ هذا هو سبب سبق انتشار النحو الكوفي على النحو البصري في الأندلس.

2- النحو البصري في الأندلس:

يرى بعض الباحثين أنَّ النحو البصري ظهر وانتشر في الأندلس منذ أواخر القرن الثالث الهجري، أي: منذ أن اشتهر بينهم كتاب سيبويه –الذي يعتبر رمز المدرسة البصرية– على يد الأفشنيق[59]، حيث رحل إلى المشـــرق ولقي أبا جعفر الدينوري[60] في مصر وعـــاد إلى الأندلس مصطحبا معه كتاب سيبويه[61].

57- المصدر السابق، ص289.

58- المصدر السابق، ص288.

59- اختلف العلماء في لقبه: ف(الأقشتين) ينظر: أبوالوليد عبد الله بن محمد ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م، 4 / 29-30. و(الأفشين) ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 1 / 252. والطنطاوي، نشأة النحو، ص193. و(الأفشنيق) ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص289. وينظر: عبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص40.

60- لم أعثر على ترجمة باسم أبي جعفر الدينوري في مصادري، وإنما وقفت على ترجمة باسم أحمد بن جعفر الدينوري أبو علي، وهو معاصر للأفشنيق تقريبًا، قال السيوطي: أحمد بن جعفر الدينوري أبوعلي أحد النحاة المبرزين، أخذ عن المازني كتاب سيبويه بالبصرة، وعن المبرد؛ وكان قد دخل مصر وصنف: المهذب في النحو وضمائر القرآن، ومات سنة 289هـ. ينظر: بغية الوعاة، 1 / 301.

ولعلنا نقف قليلا هنا، لنناقش قضية هامة أثارها بعض الباحثين، ألا وهي: قضية التفريق بين مسألة وجود النحو البصري في الأندلس، ومسألة شهرته فيها. فهل وُجد كتاب سيبويه في الأندلس مع وجود كتاب الكسائي؟ أو قبله؟ أو بعده؟

وللإجابة عن هذا السؤال يقول الهيتي: "إن كتاب سيبويه وجد في الأندلس مع وجود كتاب الكسائي، إن لم يكن قبل، إلا أنه لم يشتهر فيها أول الأمر وبقي كذلك إلى أن رحل الأفشنيق إلى المشرق وعاد إليها حافظا له فأظهره هناك واشتهر منذ ذلك الوقت"[62]، ثم نقل رأيا لأمين السيد يتعلق بظهور النحو الكوفي في الأندلس، وقال بعده: "لا أتفق مع أستاذنا في أن كتاب الكسائي كان له السبق في الوصول إلى الأندلس لأنني أرى أنه كان له سبق في الشهرة هناك فقط، فلقد ثبت وجود كتاب سيبويه في الأندلس في أواخر المائة الثانية للهجرة"[63]، واستدل على صحة كلامه بما نقله في الهامش بتصرف منه عن الزبيدي أنه قال: "ثبت أن حمدون[64] النحوي المتوفي أوائل القرن الثالث الهجري كان يحفظه دون أن يخرج من الأندلس"[65].

ويبدو لي أن ما نقله الهيتي عن الزبيدي يؤيد ما ذهب إليه، إذ لو لم يكن الكتاب موجوداً في الأندلس في ذلك الحين، لمَا كان بإمكان حمدون النحوي المتوفي في القرن الثالث الهجري أن يحفظه وهو لم يخرج من الأندلس كما أشارت الرواية، علما بأن جودي بن عثمان الذي كان أول من أدخل كتاب الكسائي إلى الأندلس، ونشر فيها النحو الكوفي قد توفي في أواخر

61- ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 4 / 29-30. وينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 1 / 252. والطنطاوي، نشأة النحو، ص193. وشوقي ضيف، المدارس النحوية، ص289. وعبدالقادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص40.

62- عبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص41.

63- المصدر السابق، ص37.

64- هو: محمد بن إسماعيل أبوعبد الله، يعرف بحمدون النحوي، كان مقدماً بعد المهري في اللغة والنحو، وكان أعلم بالنحو خاصة من المهرى؛ لأنه كان يحفظ كتاب سيبويه، وله كتب في النحو، وأوضاع في اللغة، مات بعد المائتين هجري. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 1 / 56.

65- عبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص37.

القرن الثاني الهجري، ولذلك فهما متعاصران تقريباً. مع ملاحظة أن النقل السابق الذي نقله الهيتي عن الزبيدي –من أن حمدون النحوي كان يحفظ كتاب سيبويه دون أن يخرج من الأندلس– يحتاج منا إلى وقفة؛ ذلك لأننا لو رجعنا إلى بعض مصادر التراجم كإنباه الرواة للقفطي مثلاً، لا نجد فيها ما يشير إلى أن حمدون النحوي كان أندلسيا، فقد قال عنه القفطي "كان مقدما في الأدب بالقيروان بعد المهري[66]؛ لأنه كان يحفظ كتاب سيبويه"[67]، إذًا فنص القفطي يدل على أن حمدون كان قيروانيا لا أندلسيا، إلا إذا اعتبرنا أن المقصود من كلمة الأندلس –في النقل السابق–: (المغرب العربي الكبير) أي: المذهب المغاربي الأندلسي.

وإذا قلنا إن مسألة تزامن وجود كتاب سيبويه مع وجود كتاب الكسائي في الأندلس أو سبقه عنه لا يغير من الأمر شيئا؛ لأن الكتاب لم يشتهر هناك إلا في أواخر القرن الثالث الهجري كما سبقت الإشارة. إلا أنه كما يرى جمعٌ من الباحثين[68] ما أن اشتهر كتاب سيبويه في الأندلس، حتى تأثر النحو في الأندلس تأثرا بالغا بالنحو البصري، واحتلَّ الكتاب عندهم مكان الصدارة في دراساتهم وأبحاثهم وتعليقاتهم وشروحهم، بل وحفظه أيضا، فقد حفظه وشرحه عدد كبير منهم، حتى تكاثرت نسخه وصار كتابهم المقدس في علم العربية، قرآن النحو، واعتبره بعضهم سببا رئيسيا في نهضة الدراسات العربية عند المغاربة الأندلسيين، يقول شوقي ضيف: "ويتوافر الأندلسيون... على هذا الكتاب حتى يشتهر في العالم العربي أن

66– هو: عبد الملك بن قطن أبوالوليد المهري القيرواني، كان أحفظ أهل الأدب بالمغرب، وشيخ أهل اللغة والنحو والرواة ببلده، صنف اشتقاق الأسماء، ومات سنة 256هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 2 / 114.

67– أبوالحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950م، 1 / 332–333.

68– ينظر: الطنطاوي، نشأة النحو، ص189 وما بعدها. وشوقي ضيف، المدارس النحوية، ص289 وما بعدها. وعبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، ص215. وعبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص36.

بيئة عربية لا تبلغ بيئة الأندلس في تحرير نصه وكشف غوامضه، مما جعل الزمخشري[69] يرحل في شبيبته من خوارزم إلى مكة لقراءته على نحوي أندلسي كان مجاورا بها هو عبد الله بن طلحة[70] المتوفي سنة 518هـ، وكان يعاصر ثلاثة من أعلام النحاة الأندلسيين عاشوا جميعا في عصر المرابطين، وهم أبو محمد[71] ابن السيد وابن الباذش[72] وابن الطراوة[73]"[74].

69- هو: أبوالقاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، كان واسع العلم، غاية في الذكاء وجودة القريحة، متفننا في كل علم، معتزليًا قويًا في مذهبه، مجاهراً به حنفيًا. أخذ الأدب عن أبي الحسن النيسابوري، وأبي مضر الأصبهاني، وسمع من أبي سعد الشناني، وأبي منصور الحارثي وجماعة. من مصنفاته: الكشاف في التفسير، الفائق في غريب الحديث، المفضل في النحو، وغير ذلك، مات سنة 538هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 2 / 279-280.

70- هو: عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابري، كان نحويا أصوليًا فقهيًا، روى عن أبي الوليد الباجي، قرأ عليه الزمخشري بمكة كتاب سيبويه، وشرح رسالة ابن أبي زيد، ورد على ابن حزم، ت518هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 2 / 46.

71- هو: عبد الله بن محمد بن السيد أبو محمد البطليوسي، كان عالمًا باللغات والآداب، متبحراً فيهما. انتصب لإقراء علوم النحو، من مصنفاته: شرح أدب الكاتب، وشرح الموطأ، المسائل المنثورة في النحو، وغير ذلك، ت 521هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 2 / 55-56.

72- هو: علي بن أحمد بن خلف بن محمد الغرناطي، المعروف بأبي الحسن بن الباذش، كان عالمًا بالعربية حسن الخط، من مصنفاته: شرح كتاب سيبويه، وشرح أصول بن السراج، وشرح الجمل، وغير ذلك، ت 528هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 2 / 142-143.

73- هو: أبوالحسين سليمان بن محمد بن عبد الله المالقي، المعروف: بابن الطراوة. كان نحويًا ماهراً، أديبًا بارعًا، وله آراء في النحو تفرد بها وخالف فيها جمهور النحاة. من مصنفاته: لترشيح في النحو، المقدمات على كتاب سيبويه، وغير ذلك، ت 528هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 1 / 602.

74- شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص294.

3- النحو البغدادي في الأندلس:

من مظاهر تأثر المغرب العربي بالمشرق العربي أيضا انتشار المذهب النحوي البغدادي في الأندلس، قال ابن عبد ربه: "فلا يظهر جديد في بغداد حتى يكون نَبؤه في قرطبة"[75]، وقال الطنطاوي: "طبيعي أن البلاد الإسلامية التي كانت مستشرفة لهذا العلم قد تأثرت بهذه النزعات لأن بغداد كعبة الجميع"[76].

لقد انغمس نحاة الأندلس في النحو البغدادي انغماساً كبيراً، فنتج عن ذلك تأثر النحو الأندلسي بالنحو البغدادي، ولعلّ من مظاهر هذا التأثر ما يلي:

1- انتهاج الأندلسيين نهج البغداديين في أمور كثيرة منها:

1-1- كثرة التعليلات.

1-2- ترجيح بعض الآراء على بعض.

1-3- ابتكارهم بعض الآراء الجديدة.

2- اهتمام الأندلسيين بكتب نحاة البغداديين، ككتب الأخفش وثعلب وأبي علي الفارسي وابن جني[77] إلخ...

ويعتبر الأعلم[78] الشنتمري أول نحوي أندلسي نهج لنحاة الأندلس في هذا الاتجاه؛ ولذلك فإنه يعد ظهور هذا الاتجاه -أي: نحو البغداديين- مع بداية القرن الخامس الهجري.

75- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، [د. ت]، مقدمة المحقق، 1 / ي.

76- الطنطاوي، نشأة النحو، ص147.

77- ينظر: الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص41-42. وشوقي ضيف، المدارس النحوية، ص292 وما بعدها.

78- هو: يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري، كان عالما بالعربية واللغة ومعاني الأشعار حافظا لها، حسن الضبط لها، مشهوراً بإتقانها، رحل إلى قرطبة وأخذ عن إبراهيم الافليلين، وصارت إليه الرحلة في زمانه. ولد سنة 410، ت 476هـ. السيوطي، بغية الوعاة، 2 / 356.

آراء نحاة المغاربة الأندلسيين الجديدة والمختارة:

مَن يقرأ كتب النحو يجدْ فيها آراء كثيرة مختارة أو جديدة منسوبة إلى نحاة المغاربة الأندلسيين، ويصعب حصر تلك الآراء، لهذا سأكتفي بذكر نماذج من النوعين على سبيل المثال لا الحصر، وهي كما يلي:

أولاً: آراؤهم الجديدة:

سبقت الإشارة في هذا البحث إلى أنّ النحاة المغاربة الأندلسيين وُصِفُوا بأنهم كعبة هذا العلم، ومُثِّلوا بأصحاب الخليل وسيبويه، والآن هذه بعض آرائهم النحوية الجديدة تثبت صحة ذلك الوصف، وفيما يلي بعض منها:

1- ابن السيد البطليوسي (ت 521هـ):

النحاة على أن (حتى) لا تعطف الجمل، أما هو فقد ذهب إلى أنها ليست مختصة بعطف المفردات، فقط بل تعطف الجمل أيضاً مثل: سريت حتى تكل المطايا[79].

2- السهيلي[80](ت 581هـ):

كان يستحسن عطف الاسم على الفعل، ويستقبح العكس. ذكر السيوطي[81] أن السهيلي قال: "يحسن عطف الاسم على الفعل ويقبح عكسه، لأنه في الصورة الأولى عامل لاعتماده

79- ينظر: أبومحمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، بهامشه حاشية الشيخ: محمد الأمير، دار إحياء الكتب العربية، 1 / 113-114.

80- هو: أبوالقاسم السهيلي عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد المالقي، كان عالماً بالعربية واللغة والقراءات، نحوياً متقدماً أديباً عالماً بالتفسير وصناعة الحديث عارفًا بعلم الكلام والأصول، واسع المعرفة، غزير العلم، صاحب اختراعات واستنباطات، ترك مصنفات كثيرة. ت 581هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 2 / 81.

81- هو: جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، كان عالما بالنحو والعربية والتفسير والحديث والفقه، وغير ذلك، من مصنفاته الكثيرة: المزهر والإتقان والأشباه والنظائر، ت 911هـ. ينظر: أبوالفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، [د. ت]، 8 / 51 وما بعدها، وعمر رضا كحَّالة، معجم المؤلفين تَراجم مصنِّفي الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، [د.ت]، 5 / 128.

على ما قبله فأشبه الفعل، وفي الثانية لا يعمل، فتمحض فيه معني الاسم ولا يجوز التعاطف بين فعل واسم لا يشبهه، ولا فعلين اختلفا في الزمان"[82].

كذلك فلقد كان السهيلي لا يقر بأنَّ مفعولي (ظن) وأخواتها أصلهما المبتدأ والخبر، ذكر السيوطي أن السهيلي أنكر "دخولهما على المبتدأ والخبر أصلاً، قال: بل هي بمنزلة: أعطيت في أنها استعملت مع مفعولها ابتداء. قال: والذي حمل النحويين على ذلك أنهم رأوا أن هذه الأفعال يجوز ألا تذكر، فيكون من مفعوليها مبتدأ وخبر، قال: وهذا باطل بدليل أنك تقول: ظننت زيدا عمرا، ولا يجوز أن تقول: زيد عمرو إلا على جهة التشبيه، وأنت لم تر ذلك مع ظننت، إذ القصد أنك ظننت زيدا عمرا نفسه ظن لا شبه عمرو"[83].

3- ابن خروف[84] (ت 609هـ):

كان يرى أنه لامانع من أن تكون صلة الموصول جملة تعجبية، مثل: جاء الذي ما أحسنه.. قال السيوطي: "وما أجمله التعجب. فإن قلنا: إنها إنشائية لم توصل بها أو خبريه فقولان: أحدهما الجواز، وعليه ابن خروف نحو: جاء الذي ما أحسنه، والثاني المنع... والصحيح جوازه"[85].

4- الشلوبين (ت 645هـ):

جمهور النحاة على أن العلة في تقدير الضمة والكسرة في الاسم المنقوص هي الاستثقال، أما الشلوبين فقد زاد علة أخرى وهي: اجتماع الأمثال المتمثل في: الحركة التي في الياء والواو والحركة التي قبلهما، والياء والواو مضارعتان للحركات، فعندما اجتمعت هذه الأمثال،

82- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، وعبد العال سالم مكرم. ط 2، دار البحوث العلمية، الكويت، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م، 5 / 272.

83- السيوطي، همع الهوامع 2 / 222-223.

84- هو: علي بن محمد بن علي بن محمد نظام الدين أبو الحسن ابن خروف الأندلسي النحوي، كان إماماً في العربية، محققًا مدققًا، وله مناظرات مع السهيلي، من مصنفاته: شرح سيبويه، وشرح الجمل، ت609هـ أو 605هـ أو606هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 2 / 203.

85- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، 1 / 296.

صار هناك ثقلا فخففوه بإسقاط الحركة المستثقلة[86]، وذكر السيوطي أن الشلوبين استدل على صحة رأيه هذا بقوله: "ويدل على صحة هذه العلة، أنهم إذا سكنوا ما قبل الواو والياء في نحو غزو وظبي لم يستثقلوا الضمة لأنه قد قلت الأمثال هناك لكون ما قبل الواو والياء ساكنا لا متحركا فاحتملوا ما بقي من الثقل لقلته"[87]، وقد علق الهيتي على رأي الشلوبين هذا بقوله: "وما ذهب إليه الشلوبين في هذه المسألة أقرب للصواب لأن العرب قد نطقوا بالضمة والكسرة حينما لم يجتمع الأمثال –فلو كان سبب تقديرهما– ثقلهما بأنفسهما لما ظهرتا في غزو وظبي"[88].

ومن آراء الشلوبين النحوية أيضاً: أنه لا يعتبر ما كان في مثل: ميل وفرسخ، ظرفا مبهما بعلة أن المبهم ما لا نهاية له ولا حدود محصورة له. قال السيوطي: "وهذا النوع اختلف فيه، هل هو داخل تحت حد المبهم أم لا، فالشلوبين على الثاني؛ لأن المبهم ما لا نهاية له ولا حدود محصورة، وهذه الظروف المقدرة لها نهاية معروفة وحدود محصورة؛ لأن الميل مقدار معلوم من المسافة وكذا الباقي"[89].

ومنها أيضاً: أنَّ النحاة على أنَّ ﴿عيونا﴾ في قوله تعالى: ﴿وفجرنا الأرض عيونا﴾[90]: تمييز، ويرى الشلوبين أنها حال لا تمييز، ذكر السيوطي أنَّ الشلوبين قال: "﴿عيونا﴾ في الآية نصب على الحال المقدرة لا التمييز، ولم يثبت كون التمييز منقولا من المفعول، فينبغي ألا يقال به"[91].

86- ينظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1 / 26–27.

87- المصدر السابق.

88- عبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص69.

89- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، 3 / 150.

90- سورة القمر، الآية 12.

91- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، 4 / 68.

5- ابن عصفور[92] (ت633هـ)، والأبذي[93] (680هـ):

يرى ابن عصفور وكذلك الأبذي أن: الفصل بالظرف بين (إذن) ومنصوبها جائز، قال السيوطي: "وأجاز ابن عصفور والأبذي: الفصل بالظرف نحو: إذن -غدا- أكرمك"[94].

6- ابن مالك[95] (ت 672هـ):

زاد ابن مالك على أخوات كان: (وفى) و(رام)، ذكر السيوطي أن ابن مالك قال: "وكذا العمل في: (وفى)، و(رام) بمعناها، قال: وهما غريبتان، ولا يكاد النحويون يعرفونهما إلا من عني باستقراء الغريب"[96].

92- هو: ابن عصفور علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الاشبيلي، كان حاملاً لواء العربية في زمانه بالأندلس، له مصنفات كثيرة منها: الممتع في التصريف، والمقرب، وشرح الجزولية، ت 663هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 2 / 210.

93- هو: أبوالحسن الأبّذي علي بن محمد، كان نحوياً ذاكراً للخلاف في النحو، قال عنه أبو حيان: كان أحفظ من رأيناه بعلم العربية، وكان في غاية الفقر على إمامته في العلم، ت 680هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 2 / 199.

94- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، 4 / 105.

95- هو: ابن مالك محمد بن عبد الله، إمام النحاة وحافظ اللغة، كان إماماً في القراءات وعللها، عالماً بأشعار العرب، وكان نظم الشعر سهلاً عليه: رجزه وطويله وبسيطة وغير ذلك، ترك مصنفات كثيرة، ت 672هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة 1 / 130 وما بعدها.

96- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، 2 / 67.

7- أبوحيان[97](745هـ):

زاد أبوحيان موضعا جديدا من المواضع التي يجب فيها استتار الضمير، قال السيوطي: "من الضمائر ما يجب استتاره، وهو مالا يخلفه ظاهر، وهو المرفوع بفعل الأمر كاضرب، والمضارع للمتكلم كأضرب وتضرب. أو المخاطب: كتضرب، واسم فعل الأمر: كصه، ونزال. ذكره في التسهيل، واسم فعل المضارع كأوه، وأف، زاده أبو حيان في شرحه"[98].

ثانياً: آراؤهم المختارة:

اهتم النحاة المغاربة الأندلسيين كثيراً بآراء من سبقهم من النحاة، فدرسوها بعناية، ونظروا فيها، وبنوا عليها، ورجحوا بعضها عن بعض دون أي تحيز أو تعصب لإحدى المدارس النحوية التي سبقت مدرستهم، فقد أخذوا من آراء البصريين تارة، ومن الكوفيين تارة أخرى، وثالثة من البغداديين، ومن ذلك مثلا ما يلي:

أولاً: من البصريين:

1- اختار بعض نحاة الأندلس رأي السيرافي[99] البصري في أن (من) تأتي مرادفة لربما إذا اتصلت بما[100].

97- هو: أبوحيان محمد بن يوسف الغرناطي، لغوي عربي من أصل بربري، كان إماماً في النحو، له مصنفات كثيرة لا تقتصر على النحو فحسب، بل منها مصنفات في علوم القرآن والحديث والتاريخ، صنف كتابا في تاريخ الأندلس يقع في ستين مجلدا، لم يصل إلينا للأسف. كذلك صنف كتابا في نحو اللغة الفارسية، وفي نحو اللغة التركية، أما رسالته في اللغة الحبشية فلم يتمها، ت 745هـ. ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتاوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، 1933م، 1 / 332.

98- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، 1 / 214.

99- هو: أبوسعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان، كان عالماً بعلوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض، ألف العديد من المصنفات منها: شرح كتاب سيبويه، الاقناع في النحو، ت 368هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 1 / 507-508.

100- ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، 2 / 16.

2- ابن الباذش (ت528هـ) وابن خروف:

اختارا ظاهر قول سيبويه[101] في أن المخصوص بالمدح أو الذم مبتدأ وما قبله خبر، قال ابن هشام: "على أن التحقيق الجزم بأن المخصوص مبتدأ وما قبله خبر وهو اختيار ابن خروف وابن الباذش وهو ظاهر قول سيبويه"[102].

3- ذهب السهيلي مذهب المبرد في أن التعدية بالباء الجارة تخالف التعدية بالهمزة، قال بن هشام: "تقول في ذهب زيد ذهبت بزيد وأذهبته ومنه: ﴿ذهب الله بنورهم﴾[103] وقرئ: ﴿أذهب الله نورهم﴾، وهي بمعني القراءة المشهورة، وقول المبرد والسهيلي إن بين التعديتين فرقا وإنك إذا قلت ذهبت بزيد كنت مصاحباً له في الذهاب مردود بالآية"[104].

كذلك كان السهيلي يرى رأي بن دستوريه[105] البصري في أن نائب الفاعل في مثل قولك: جلس في الدار، ليس هو الجار والمجرور، وإنما هو ضمير مستتر عائد على المصدر المفهوم من الفعل والتقدير: جلس هو، أي: الجلوس[106].

4- واختار بن خروف رأي المبرد في زيادة لام المستغاث، قال بن هشام: "ومنها لام المستغاث عند المبرد واختاره بن خروف بدليل صحة إسقاطها"[107].

101- هو: أبوبشر سيبويه عمر بن عثمان بن قنبر، إمام النحاة، أصله من البيضاء من أرض فارس، ونشأ بالبصرة، وأخذ عن الخليل ويونس والأخفش، وعيسى بن عمر ت 180هـ، أو 161هـ، أو194هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة 2 / 229-230.

102- جمال الدين بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، 2 / 155.

103- سورة البقرة، الآية 17.

104- جمال الدين بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، 1 / 96.

105- هو: ابن درستويه -بضم الدال والراء- عبد الله بن جعفر، كان عالماً جيد التصنيف، شديد الانتصار للبصريين في النحو واللغة، له مصنفات كثيرة منها: الإرشاد في النحو، وغير ذلك، ت347هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 2 / 36.

106- ينظر: جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، 2 / 268.

107- جمال الدين بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، 1 / 182.

ثانياً: من الكوفيين:

1- الأعلم الشنتمري (ت 476هـ): اختار رأي الفراء[108] في أن الفاء قد تُزاد في الخبر إذا كان أمرا أو نهيا فقط، قال بن هشام: "وأجاز الأخفش[109] زيادتها في الخبر مطلقا وحكى أخوك فوجد وقيد الفراء والأعلم وجماعة الجواز بكون الخبر أمرا أو نهيا"[110].

2- ابن الطراوة (ت 528هـ): اختار رأي الكوفيين في تجويزهم أن يكون التمييز معرفة قال السيوطي: "البصريون على اشتراط تنكير التمييز، وذهب الكوفيون وابن الطراوة: إلى أنه يجوز أن يكون معرفة كقوله:

[رَأَيْتُكَ لَمَّا أَنْ عَرَفْتَ وُجُوهَنَا **

صَدَدْتَ[111] وَطِبْتَ النَّفْسَ يَا قَيْسُ عَنْ عَمْرِو[112]"[113].

108- هو: أبوزكريا الفراء يحيى بن زياد بن عبد الله، إمام العربية، كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، له مصنفات كثيرة منها: معاني القرآن، النوادر، ت 207هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 2 / 333.

109- هو: أبوالحسن الأخفش سعيد بن مسعدة، كان أحفظ من أخذ عن سيبويه، وأعلم الناس بالكلام، وأحدقهم بالجدل، له مصنفات كثيرة منها: معاني القرآن، والمقاييس في النحو، ت 210هـ أو 215هـ أو221هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 1 / 591.

110- جمال الدين بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، 1 / 141.

111- تكملة البيت من: إميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1996م، 3 / 540.

112- البيت من الطويل، وهو لرشيد بن شهاب اليشكري عند: خالد بن عبد الله الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، [د. ت]. ع1 / 151 و394. وبلا نسبة عند: أبومحمد عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومعه كتاب عُدَّة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 1 / 181. والسيوطي، همع الهوامع، 1 / 80 و252. وأحمد بن الأمين الشنقيطي، الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، وضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1999م، 1 / 138.

113- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، 4 / 72.

3- ابن مضاء[114] (ت 592 هـ): ذهب السهيلي وابن مضاء مذهب الكسائي في تجويز حذف الفاعل إن دل عليه دليل. قال السيوطي: "وذهب الكسائي: إلى جواز حذف الفاعل لدليل كالمبتدأ والخبر، ورجحه السهيلي وابن مضاء"[115] وقال أيضا: "وكان قد ذهب البصريون إلى أنه يجب ذكر الفاعل ولا يجوز حذفه"[116].

4- اختار ابن عصفور وابن مالك رأي الكوفيين في عدِّ (هب) من أخوات (ظن)، قال السيوطي: "خامسها: (هب) أثبته الكوفية، وابن عصفور وابن مالك، كقوله:

... فقلت أجرني أبا خالد ** وإلا فهبني امرأ هالكا[117]

أي: ظنني"[118].

5- اختار ابن مالك رأي الفراء في مسألة نيابة المفعول الثاني بدلا من الأول عن الفاعل في باب (اختار)، قال السيوطي: "وجوز الفراء وابن مالك: إقامة الثاني، نحو: اختير الرجال زيدا"[119].

ثالثًا: من البغداديين:

1- السهيلي وابن أبي الربيع[120](688هـ): ذهبا مذهب الكوفيين والبغداديين[121] في أن النكرة لا يجوز فيها الإبدال من المعرفة إلا إذا وصفت، قال السيوطي: "منع أهل الكوفة

114- هو: ابن مَضَاء القرطبي أحمد بن عبد الرحمن بن محمد، كان له تقدم في علم العربية ومذاهب مخالفة لأهلها، وكان عارفًا بالأصول والكلام والطب والحساب والهندسة، له مصنفات كثيرة منها: المشرق في النحو، الرد على النحويين، ت 592هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 1 / 323.

115- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، 2 / 255.

116- المصدر السابق، 4 / 72.

117- البيت من المتقارب، وهو لابن همام السّلولي عند: السيوطي، شرح شواهد المغني، 2 /923. والأزهري، شرح التصريح، 1 / 248. والشنقيطي، الدرر، 1 / 332. وبلا نسبة عند ابن هشام، مغني اللبيب، 2 / 594. وابن هشام، أوضح المسالك، 2 / 37. وبهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين، بلا، 1 / 427.

118- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، 2 / 213.

119- المصدر السابق، ص 264.

وبغداد بدل النكرة من المعرفة مالم توصف، ووافقهم السهيلي وابن أبي الربيع، نحو قوله تعالى: ﴿عن الشهر الحرام قتال فيه﴾[122]؛ لأنها إذا لم توصف لم تفد، إذ لا فائدة في قولك: مررت بزيد برجل"[123].

2- ذهب ابن عصفور مذهب البغداديين في حذف الفاء من (سوف)، حيث قال: "وحذفت من (سوف) فقالوا: سو أفعل، روى ذلك أحمد بن يحي عن البغداديين"[124].

3- اختار ابن مالك الكثير من آراء البغداديين، ومن ذلك مثلاً: اختياره رأي الزجاجي[125] في أنَّ (سوى) مثل (غير) في المعنى والتصرف، قال ابن هشام: "وهو عند الزجاجي وابن مالك كغير في المعنى والتصرف، فنقول جاءني سواك بالرفع على الفاعلية، ورأيت سواك بالنصب على المفعولية، وما جاءني أحد سواك بالنصب والرفع، وهو الأرجح"[126].

120- هو: أبوالحسين بن أبي الربيع عبد الله بن أحمد الإشبيلي، إمام أهل النحو في زمانه، ولم يكن في طلبة الشلوبين من هو أنجب منه، له مصنفات كثيرة، منها: شرح الإيضاح، القوانين، ت 688هـ. ينظر السيوطي، بغية الوعاة، 2 / 125.

121- ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص300.

122- سورة البقرة، الآية 217.

123- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، 5 / 218.

124- ابن عصفور الاشبيلي، الممتع في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط 3، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978م، 2 / 628.

125- هو: أبوالقاسم الزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق، منسوب إلى شيخه: إبراهيم الزجاجي، كان بارعاً في النحو، له مصنفات كثيرة منها: الجمل في النحو، الإيضاح، الكافي، ت 339هـ أو340هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 2 / 77.

126- جمال الدين بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، 1 / 124.

4- واختار ابن مالك أيضاً رأي: ابن جني[127] في أنه لا سبب لبناء الاسم إلا شبهه بالحرف. قال السيوطي: "والذي جزم به ابن مالك في كتبه: أنه لا سبب للبناء سوى شبه الحرف فقط، ... وصرح به ابن جني في الخصائص"[128].

5- واختار ابن مالك كذلك أيضا: رأي البغدادين في أن الباء الجارة تأتي بمعنى التبعيض[129].

وبعد.. فهذه نماذج من اختيارات نحاة الأندلس، أرجو أن تكون قد أبرزت ولو جزءاً من جهود هؤلاء العلماء الأعلام من نحاة المذهب المغاربي الأندلسي، وألقت الضوء على طريقة ومسلك هؤلاء العلماء الذين خدموا العلم للعلم، بعيدين عن أي تعصب مذهبي، حيث لم يجدوا حرجاً في أخذ العلم عن النحاة من مختلف المدارس التي سبقتهم، فقد أخذوا عن نحاة البصرة والكوفة وبغداد وربما غيرهم أيضاً.

ازدهار الدرس النحوي في الأندلس -عوامله، مظاهره-:

أولاً: عوامل ازدهار الدرس النحوي في الأندلس:

1- دور عامة الشعب في هذه النهضة، وهو دور عظيم يدل على تقدم المجتمع وازدهاره، ولعلنا نستطيع تلخيص أهم جوانب هذا الدور المجتمعي فيما يلي:

1-1- المجتمع الأندلسي وتقديسه وتعظيمه للعلم والعلماء، قال المقري: "والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة، يشار إليه ويحال عليه، وينبه قدره وذكره عند الناس"[130].

127- هو: أبوالفتح عثمان بن جني، كان من أحدق الناس في الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، له العديد من المصنفات منها: الخصائص في النحو، اللمع في النحو، ت 329هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 2 / 132.

128- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، 1 / 48.

129- ينظر: جمال الدين بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، 1 / 98، وشوقي ضيف، المدارس النحوية، ص314.

130- أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب، 1 / 205.

1-2- إخلاص علماء الأندلس، فقد كانوا يتعلمون العلم لأجل العلم لا طمعا في مادة أو نحوها قال المقري: "فهم يقرؤون لأن يعلموا لا لأن يأخذوا جاريا [أي: مرتبا]، فالعالم منهم بارع لأنه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه، وينفق من عنده حتى يعلم"[131].

1-3- مساهمة الناس الأثرياء، حتى النساء أيضا في إنشاء المكتبات، يقول نعنعي: "وقد تكونت أكثر من مكتبة هامة في دور بعض السيدات الثريات"[132].

2- دور الأمراء والخلفاء الذين حكموا الأندلس، ولعلّ أبرز ذلك ما يلي:

2-1- يتعلق بالسياسة، وهو: المنافسة بين دولة العباسيين من جهة ودولة بني أمية في الأندلس، حيث كان كل طرف "يحرص على النهوض بدولته... فمن ذلك كانت المنافسة بين الدولتين في المشرق والمغرب دائبة لا تني، وكانت الوفود لا تفتأ ساعة بين الحاضرتين، فلا يظهر جديد في بغداد حتى يكون نبؤه في قرطبة، ولا ينجم نجم في قرطبة حتى يذيع خبره في بغداد، واتخذت المنافسة بين الدولتين مظهرا علميا"[133].

2-2- حُبّ الأمراء والخلفاء الأندلسيين للعلم والعلماء، وتقديم جميع المساعدات المادية والمعنوية للعلم والعلماء، يقول نعنعي -في هذا المعنى أثناء حديثه عن موضوع العلوم والثقافة أيام حكم المستنصر بالله الذي تولى الحكم بعد وفاة والده الخلفية عبد الرحمن الناصر سنة 350هـ: "لم يكن الحكم في خطه هذا استثناء أو ظاهرة فريدة بين حكام بني أمية في أوروبا. إن هؤلاء منذ أسس دولتهم عبد الرحمن الأول درجوا على الاهتمام بالعلوم والآداب واجتهدوا دائما في إحاطة أنفسهم، واغناء مجالسهم بأفضل الناس، وعلمائهم ومحدثيهم، وما قصر واحد منهم في إغناء قصره بالكتب والمصنفات، ولم يختلف واحد منهم مهما كانت مشاغله السياسية والاقتصادية عن رعاية العلوم والآداب، وعن السعي لإثراء المكتبة الأموية

131- المصدر السابق.

132- عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، [د. ت]، ص412.

133- ابن عبد ربه، العقد الفريد، مقدمة المحقق 1 / ي.

في القصر الأميري لأفضل المؤلفات يؤتى بها من المشرق كما في سائر المناطق الأندلسية"[134]. وقال أيضاً: "وكثيرا ما امتدت هذه المساعدات إلى علماء يقيمون بعيداً عن الأندلس"[135]، كذلك يقول كلوس كريزر ومن معه: "ظهر الأمراء والخلفاء ومن بعدهم ملوك الطوائف بمظهر المشجع والحامي للفنون والعمران والآداب العربية والعلوم الطبيعية"[136].

2-3- إنشاء المدارس والجامعات، يقول نعنعي: "بل ذهب الحكم المستنصر في سعيه لنشر العلم بين رعاياه إلى حد افتتاح المدارس المجانية في العاصمة وحولها لتعليم أولاد الفقراء والمساكين، أقام لذلك سبعا وعشرين مدرسة ندب لها المعلمين والمؤدبين وأجرى عليهم المرتبات... وليضمن بقاء هذه المدارس وديمومة عملها لصالح أهل العلم وطلابه من الفقراء عمد إلى إقامة وقفية دائمة ضمت جميع حوانيت السراجين في قرطبة تحبس وارداتها أبد الدهر لدفع أجور المعلمين الذين يدرسون في المدارس المجانية التي أقامها الحكم"[137]، وقال عن التعليم العالي: "كان مسجد قرطبة الجامع مقر جامعة الأندلس الأولى يدرس في أروقته يوميا علماء وفدوا من كل أنحاء العالم الإسلامي، على آلاف من طلبة العلم أتوا من الأندلس كما في أفريقية الشمالية وربما من بعض مناطق إسبانيا المسيحية.

فكانت هذه الجامعة في منارة القرن العاشر للميلاد في غرب أوروبا تشع علما ومعرفة من فوق ما كان يغلف القارة من جهل وأمية وتخلف"[138].

2-4- إنشاء المكتبات والحرص على تزويدها بكل ما يصدر من كتب جديدة في الغرب أو الشرق، ذكر نعنعي أن الحكم المستنصر بالله: "اتخذ له رسلا ومندوبين في دمشق، كما في بغداد، وفي خرسان كما في الإسكندرية يتصيدون له أنفس الكتب وأندر المخطوطات، وأيضا كانوا يعملون على نسخ ما لا يستطيعون شراءه من المؤلفات.

134- عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، ص408.

135- المصدر السابق، ص409.

136- كلوس كريزر وآخرون، معجم العالم الإسلامي، ترجمة: ج. كتورة، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1991م، ص95.

137- عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، ص412.

138- المصدر السابق، ص413.

أما القصر الخلافي فقد تحول على زمنه إلى ورشة عمل تضج بالناسخين والخطاطين والرسامين والمجلدين حتى ضاقت القاعات والممرات بأكداس الكتب والمصنفات، ويروي تليد المشرف على خزانة العلوم بالقصر الخلافي في قرطبة: أنّ عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، في كل فهرسة خمسون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين"[139].

2-5- تحفيز همم العلماء إلى التأليف والترجمة[140].

2-6- استقدام العلماء من كل مكان، وتشجيعهم على الوفود إلى الأندلس، ومن أبرز الشخصيات العلمية التي هاجرت من المشرق العربي إلى الأندلس: أبو علي القالي[141].

2-7- إقامة المناظرات اللغوية بين العلماء في مجالس الأمراء والملوك[142].

ثانيًا: أهم مظاهر ازدهار النحو الأندلسي:

مظاهر ازدهار النحو الأندلسي كثيرة، وفيما يلي بعضها:

1- بروز أعلام للنحو واللغة من الأندلس.

2- هجرة كثير من علماء المشرق إلى الأندلس، كذلك فلقد "أصبح الأندلسيون مقصد الطلاب، وغدَا من النادر أن نجد أندلسيا يطلب العلم في المشرق"[143].

3- التوسع في الدراسة حتى إن بعضهم "كان لا يكتفي في الأحكام النحوية بالعلل الأولى التي يدور عليها الحكم مثل: أن كل مبتدأ مرفوع، بل كان يطلب علة ثانية لمثل هذا الحكم يوضح بها لماذا رفع المبتدأ ولم ينصب"[144]، قال ابن مضاء: "وكان الأعلم -رحمه الله- على بصره بالنحو مولعا بهذه العلل الثواني، ويرى أنه إذا استنبط منها شيئا

139- عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، ص409. وينظر: البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس، ص84 وما بعدها.

140- ينظر: البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس، ص412.

141- ينظر: المصدر السابق، ص90-91.

142- ينظر: المصدر السابق، ص111.

143- أبوالقاسم عبد الرحمن السهيلي، نتائج الفكر في النحو، مقدمة المحقق، ص8.

144- شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص293.

فقد ظفر بطائل، وكذلك كان صاحبنا الفقيه أبو القاسم السهيلي على شاكلته –رحمه الله– يولع بها، ويخترعها، ويعتقد ذلك كمالًا في الصنعة وبَصَرًا بها"[145].

4- "ومن ملامح الحركة اللغوية في هذا العصر ظهور الاستشهاد بالحديث؛ فقد استفاض بين النحاة، وكان من أعلامهم في هذا المجال السهيلي وابن خروف اللذان أكثرا من الاستشهاد بالحديث، ولم يكن ذلك بدعا، فقد اعتمد الأندلسيون الحديث أصلا من أصولهم منذ كانت لهم مدرسة نحوية"[146].

5- اتجاههم إلى النقد وخاصة في الفروع والمسائل التطبيقية[147].

6- النشاط في حركة التأليف في النحو واللغة.

7- إقبال الطلبة على تعلم العربية بشكل ملفت للنظر[148].

8- اتجاههم إلى محاولة تيسير النحو واللغة بوسائل من أهمها: تنقية اللغة وتبسيط الشرح[149] ووضع المتون النحوية[150].

خاتمة:

أرجو أن أكون قد وفِّقتُ من خلال هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على مجد من أمجاد أمتنا، الذي نفتخر ونعتز به، ونأسف في الوقت ذاته على ضياع الأندلس، وفيما يلي ملخص لأهم نتائج هذه الدراسة:

1- غيرة العرب على دينهم وقوميتهم، يدل على ذلك ما بذلوه من جهد عظيم في سبيل حفظ اللغة العربية، لغة الدين والقومية.

145- أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، ط 3، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ص137.

146- أبوالقاسم بعد الرحمن السهيلي، نتائج الفكر في النحو، مقدمة المحقق، ص13.

147- ينظر: المصدر السابق، ص11 وما بعدها.

148- ينظر: المصدر السابق، ص8.

149- ينظر: البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس، ص119.

150- ينظر: عبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص201.

2- مسألة وجود مذهب نحوي مغاربي أندلسي مسألة خلافية بين العلماء، لكن القول بوجوده هو الأرجح؛ ومما يدل على ذلك هو دور النحاة المغاربة الأندلسيين الفعَّال، ومساهمتهم البنَّاءة في اكتمال شخصية النحو العربي عن طريق اختياراتهم النحوية الرشيدة، وكثرة الآراء النحوية الجديدة التي ابتكروها ولم يسبقهم إليها أحد من النحاة.

3- هناك تشابه كبير بين بدايات الدراسات النحوية في الأندلس، وبدايات الدراسات النحوية في المشرق العربي؛ فقد مرت بالخطوات ذاتها، وانتهجت النهج نفسه.

4- انتشار كل من المذهب البصري والكوفي والبغدادي في الأندلس، مما ساعد في إثراء الدراسات النحوية فيها.

5- هناك أسباب كثيرة أدت إلى نمو وازدهار الدراسات النحوية في الأندلس، من أهمها: تشجيع الأمراء بكل وسائل التشجيع، وحب الناس للعلم وإقبالهم عليه رغبة فيه.

6- كان من أهم مظاهر ازدهار النحو الأندلسي: بروز أعلام للنحو، وهجرة العلماء من مختلف المدن والولايات إلى بلاد الأندلس، والنشاط في حركة التأليف، وتيسير النحو بطرق مختلفة كوضع المتون النحوية مثلاً.

المصادر والمراجع

1- إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية أسطورة وواقع، ط 1، دار الفكر للنشر والتوزيع، 1987م.

2- علي مؤمن الاشبيلي، الممتع في التصريف، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط 3، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978م.

3- أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، ط 3، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، [د. ت].

4- علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، ط 1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950م.

5- عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، [د. ت].

6- عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، منشورات جامعة قاريونس، 1978م.

7- عبد الله بن محمد ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م.

8- عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومعه كتاب عُدَّة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، [د. ت].

9- عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، بهامشه حاشية الشيخ: محمد الأمير، دار إحياء الكتب العربية، [د. ت].

10- أحمد أمين، ظهر الإسلام، ط 5، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1969م.

11- أحمد بن الأمين الشنقيطي، الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، وضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1999م.

12- أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، [د. ت].

13- البير حبيب مُطْلَق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، المكتبة العصرية، بيروت، 1967م.
14- أحمد بن محمد بن أحمد المقري؛ نفح الطيب، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، [د. ت].
15- إميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1996م.
16- بهاء الدين عبد الله ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين، [د. ت].
17- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، [د. ت].
18- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1964م.
19- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، و د.عبد العال سالم مكرم. ط 2، دار البحوث العلمية، الكويت، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م.
20- خالد بن عبد الله الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، [د. ت].
21- _____، دائرة المعارف الإسلامية، تج: محمد ثابت الفندي، وأحمد الشنتاوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس، 1933م.
22- سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، دار مكتبة الفكر، طرابلس–ليبيا، [د. ت].
23- شوقي ضيف، المدارس النحوية، ط 7، دار المعارف، القاهرة، 1968م.
24- عبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، ط2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، [د. ت].
25- عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، [د. ت].

26- عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، ط 2، دار النهضة العربية، بيروت، 1988م.
27- عمر رضا كحَّالة، معجم المؤلفين تَراجم مصنِّفي الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، [د. ت].
28- كلوس كريزر وآخرون، معجم العالم الإسلامي، ترجمة: د. ج. كتورة، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1991م.
29- محسن حامد العيادي، ابن سعيد الأندلسي حياته وتراثه الفكري والأدبي، مكتبة النهضة المصرية، [د. ت].
30- محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ط 1، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، 1980م.
31- محمد محمود هلال، الكامل في الدراسات النحوية ونشأتها، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي – ليبيا، [د. ت].
32- د. محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، [د. ت].
33- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ط 2، بيروت- لبنان، 1974م.
34- ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم الأدباء، ط 2، دار المستشرق، بيروت- لبنان، 1922م.
35- يوسف حسين بادي، محاضرات أصول النحو والمدارس النحوية، برنامج الماجستير، كلية الآداب – جامعة مصراتة، العام الجامعي 2000م.